المحاضرة الثالثة: نظرية حارس البوابة الإعلامية:

1-الجذور التاريخية لنظرية حراس البوابة

يعود رصد البدايات التاريخية لدراسات القائم بالاتصال لدراسة "ليبو روستن" التي ظهرت عام 1937 تحت عنوان "مراسلي واشنطن"، وتعتبر هذه الدراسة دراسة كلاسيكية عن سيكولوجية المراسل الصحفي، وفي عام 1941 نشرت مجلة "الصحافة" ربع السنوية التي تصدر في ولاية " أيوا " بالولايات المتحدة الأمريكية دراسة مهمة عن العاملين بجريدة "ملواكي"، وكان من الممكن أن تفتح هذه الدراسة الباب لإجراء دراسات مماثلة عن المؤسسات الإعلامية الأخرى، ولكن مضت فترة طويلة دون أن تظهر أبحاث تتناول بالدراسة القائمين بالاتصال ومؤسساتهم، حتى نشر الباحث الأمريكي "ديفد مانج وايت" دراسته " حارس البوابة وانتقاء الأخبار" التي أعطت دفعة قوية للبحث في هذا المجال.

ويرجع الفضل إلى عالم النفس النمساوي الأصل الأمريكي الجنسية "كيرت ليون" سنة 1947 في تطوير ما أصبح يعرف بنظرية حراس البوابة الإعلامية Gatekepers ، وتعتبر دراسة "ليون" من أفضل الدراسات المنهجية في مجال القائم بالاتصال، حيث يرى أنه طوال الرحلة التي تقطعها المادة الإعلامية حتى تصل إلى الجمهور المستهدف توجد نقاط (بوابات) تشبه حواجز التفتيش، وفي هذه النقاط يتم إصدار التصريحات أي تقرير ما يمر وما لا يمر من الأخبار والمعلومات، ويسمى الأفراد الذين يقفون عليها "حراس البوابة"، وهم يمثلون وظائف متعددة مثل الناشرين ، المحررين، مديري المحطات وغيرهم ممن لهم سلطة تقييم محتوى الإعلام لتحديد علاقته وقيمته بالنسبة لجمهور المتلقين، وبالتالي تقرير الموضوعات التي تنشر أو التي ينبغي إعادة صياغتها بصورة معينة أو تلك التي يجب إهمالها.

ومن أعمق الدراسات التي أجريت على القائمين بالاتصال والقوى الاجتماعية، التي تؤثر على العاملين في الصحف، الدراسة التي قدمها "وارين بريد" سنة 1955 التي وجد فيها أن هناك أدلة تشير إلى وجود عملية تأثير يسيطر أو يهيمن بمقتضاها مضمون المؤسسات الإعلامية الكبرى (صحف إذاعات ومحطات تلفزيونية) على الطريقة التي تعالج بها المؤسسات الإعلامية الصغيرة الأخبار والأنباء، واستخدم "بريد" في دراسة أخرى التحليل الوظيفي ليظهر كيف تدفن أو تحذف الصحف الأخبار التي تهدد النظام الاجتماعي والثقافي، والتي استنتج من خلالها أن الظروف الثقافية المحيطة بالصحفي في حجرة الأخبار وعلاقته الاجتماعية والشخصية لا تؤدي إلى نتائج تفي باحتياجات أوسع للحرية والديمقراطية.

كما تعتبر دراسة كل من "بروس وستلي" و"مالكلوم ماكلين" عن القيم التي يعتنقها المحررون، والتي تؤثر على اختيارهم للأخبار وأدوارهم المختلفة من الدراسات المهمة كذلك في هذا الحقل.

.2مبادئ نظرية حراس البوابة:

تمر الرسالة الإعلامية بمراحل عديدة، وهي تنتقل من المصدر حتى تصل إلى المتلقي، وتشبه هذه المراحل السلسلة المكونة من عدة حلقات، أي وفقا لاصطلاحات هذه النظرية فإن المعلومات في عملية

الاتصال هي مجرد سلسلة تتصل حلقاتها.

ونجد قدر المعلومات التي تخرج من بعض تلك الحلقات أو الأنظمة أكثر مما يدخل فيها، لذلك يسميها شانون أجهزة تقوية، فأجهزة التقوية أي وسائل الإعلام تستطيع أن تصنع (في نفس الوقت) عدد كبير جدا من الرسائل المتطابقة مثل نسخ الصحف وتوصيلها إلى الجمهور، كما توجد في هذا النوع من السلاسل شبكات معينة من الأنظمة داخل الأنظمة، فوسائل الإعلام نفسها هي شبكات من الأنظمة المتصلة بطرق معقدة، بحيث تقوم بوظيفة فك الرموز وتفسير وتخزين المعلومات، ثم وضعها مرة أخرى في رموز، وهي الوظيفة التي يؤديها كل القائمين بالاتصال، ويساعد أسلوب عمل هذه الشبكات واقع المجتمع الذي ترتفع فيه نسبة المتعلمين ودرجة التصنيع، حيث يزداد الاعتماد على سلاسل وسائل الإعلام، عكس المجتمع الذي تنخفض فيه نسبة المتعلمين ودرجة التصنيع فتنتقل فيه غالبية المعلومات عن طريق سلاسل الاتصال الشخصي.

ومن الأمور الجديرة بالملاحظة هنا أن المجتمعات التي تخضع فيها وسائل الإعلام للسيطرة القومية يبدأ الأفراد في التشكيك في صدق ما تنشره وسائل الاتصال الجماهيرية، ومن هنا يصبح الاتصال الشخصي ألمواجهي مهما جدا لتكملة نواحي نقص ما تبثه تلك الوسائل من رسائل في شكل إشاعات وأقاويل ومعلومات خفية.

ومن الأهمية بما كان أن نعرف كيف تعمل سلاسل الاتصال وكيف تنتقل المعلومات في جميع أنحاء المجتمع، ومن الحقائق الأساسية التي أشار إليها "كيرت ليون" أن هناك في كل حلقة بطول السلسلة فردا ما يتمتع بالحق في أن يقرر ما إذا كانت الرسالة التي تلقاها سيمررها كما هي إلى الحلقات التالية، أم سيزيد عليها أو يحذف منها أو يلغيها تماما.

3.مفهوم حراسة البوابة:

يعني السيطرة على مكان استراتيجي في سلسلة الاتصال بحيث يصبح لحارس البوابة سلطة اتخاذ القرار فيما سيمر من خلال بوابته وكيف سيمر، حتى يصل في النهاية إلى الجمهور المستهدف. وحراس البوابة هم الصحفيون الذين يقومون بجمع الأخبار وهم مصادر الأنباء الذين يزودون الصحفيون بالأنباء وهم أفراد الجمهور الذين يؤثرون على إدراك واهتمام أفراد آخرين من الجمهور للمواد الإعلامية.

وبمعنى آخر هناك مجموعة من حراس البوابة يقفون في جميع مراحل السلسلة التي يتم بمقتضاها نقل المعلومات، ويتمتع أولئك الحراس بالحق في فتح البوابة أو غلقها أمام أي رسالة تأتي إليهم، كما أن من حقهم إجراء تعديلات على الرسالة التي ستمر ، لهذا فحارس البوابة الذي يقول "نعم" أو "لا" بشأن الرسائل التي تصله على طول السلسلة يلعب دورا مهما في الاتصال الاجتماعي، وبعض حراس البوابة أهم من غيرهم حسب مراكزهم الاجتماعية في التنظيم الاجتماعي، أو ما يعرف بأصحاب النفوذ أو قادة الرأي والصفوة من المجتمع الذين يتمتعون باحترام كبير.

4.من هم حراس البوابة:

الصحفيون الذي يقومون بجمع الأنباء، ومصادر الأنباء التي يستقون منها أنبائهم، وأفراد الجمهور الذين يؤثرون على إدراك واهتمام أفراد آخرين للمواد الإعلامية هم حراس البوابة الإعلامية، فعند وقوع حدث ما فأول حارس بوابة في هذه الحالة هو الفرد الذي يشاهد الحدث عند وقوعه، وهو ينتقي بلا شعور أشياء معينة يلاحظها ويهمل أخرى، أما الحارس الثاني فهو المخبر الصحفي الذي يحصل على الخبر من الشاهد ويقوم هو الأخر بانتقاء الحقائق التي سينقلها ويهمل غيرها، ويأتي هنا دور وكالة الأنباء حيث تقوم بمهمة الحارس الثالث وبعد ذلك يسلم الخبر إلى المحرر ومن ثم إلى سكرتير التحرير وبعدها إلى رئيس التحرير ثم أرسله إلى الجمهور المتلقي.

ففي داخل أي مؤسسة إخبارية يوجد منظور إخباري، وثقافة داخلية تتضمن مجموعة معقدة من المعايير للحكم على قصة إخبارية معينة – معايير تستند إلى الاحتياجات الاقتصادية للوسيلة الإعلامية، فضلاً عن السياسة التنظيمية، وتعريفات تتعلق بالأهمية الإخبارية، ومفاهيم خاصة بطبيعة الجمهور المعني، والمعتقدات حول واجبات السلطة الرابعة للصحفيين.

ويستخدم هذا المنظور الإخباري ومعاييره المعقدة كل من المحررين ومديري الأخبار وغيرهم من الموظفين، الذي يحددون عدد الأخبار المحدود لعرضها على الجمهور، وترميزها بطرق تلبي متطلبات وسيلة الإعلام وأذواق الجمهور.

لذلك يصبح الموظفون في المؤسسات الإخبارية حارسي بوابات إعلامية، حيث يسمحون بمرور بعض الأخبار ويمنعون أخرى، وبالتالي يتم تقييد ومراقبة وتشكيل معرفة العامة بحقيقة الحدث الذي يقع بالفعل، وقد دأب بعض الإعلاميين العرب على استخدام مصطلح "حراس البوابة" كترجمة حرفية لمصطلح "gatekeeper"ويرى الدكتور "صالح أبو أصبع" استخدام "المغربل" أكثر دقة في التعبير من مصطلح حارس البوابة.

5.وظائف حارس البوابة:

إن المؤسسة الإعلامية مهما كان نوعها يقوم القائمون عليها بتحديد ما يجب أن ينشر أو يبث وما يجب ألا ينشر أو يبث أي أن هناك عملية غربلة دائمة لما يتم أرسله عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، ويقوم بهذه المهمة في الصحفية أو المجلة رئيس التحرير أو مدير التحرير، وكذلك هناك أشخاص في الإذاعة المسموعة والمرئية يحددون لنا ما نشاهده، أو ما نستمع إليه، وما يحب ألا نشاهده أو نستمع إليه.

إن هؤلاء الأشخاص الذين يقررون لنا ما نقرأ من أخبار في الصحيفة، أو يقررون ماذا نسمع أو نشاهد في الإذاعة المسموعة والمرئية، هم المغربلون، إنهم يغلبون ما يصلهم من مواد مهما كان نوعها يفرزون ما يعتبرونه صالحاً لنشر أو البث من غيره.

6.الأدوار المنوطة بحارس البوابة:

تتمثل فيما يلي:

-أن أي مجتمع له قيمه وعاداته وتقاليده التي يجب أن يتم المحافظة عليها بطريقة بناءة.

-عمليا ليس بالإمكان نشر كل ما تتلقاه الصف – من الأخبار مثلا- لأن ذلك سيعني أن تصدر الصحفي في إضعاف حجمها الحالي، مما يؤدي إلى ارتفاع تكاليفها وعدم شرائها يوميا، وهذا يعني موت الصحفية.

-أن المستويات الفنية واللغوية والإبداعية للأعمال قد لا تكون في مستوى النشر أو البث حتى لو التزمت بقيم المجتمع وعاداته.

-ليس كل ما يصل الوسيلة الإعلامية له أهمية بالنسبة للجمهور فما يهم الألماني ليس بالضرورة يهم العربي وليس بالضرورة بهم الصيني.

-أن لكل مجتمع قوانينه التي تنظم العلمية الإعلامية من خلال قوانين النشر، ومن ثم لا بد من مراعاتها وإلا أدى ذلك إلى مخالفات قد تقود إلى تعطيل الصحيفة أو إيقاف المذيع أو معد البرنامج ومحاسبته قضائياً.

-أن كل مجتمع له ذوقه الخاص في تقبل الرسائل الإعلامية، فبينما يمكم اعتبار سباق الهجن فناً محبباً لدى الجمهور في الإمارات، ولذا تجده يستحوذ على ساعات بث طويلة على التلفزيون، تجد أن هذا النوع من السباقات غير محبب للأجنبي الذي يفضل عليه سباق قيادة السيارات والتي تنال أيضا ساعات طولية من البث التلفزيوني.

-التخصص في نوعية الجمهور الذي توجه إليه الرسالة تفرض على المغربل أن رسائله بحيث تلائم تلك النوعية من الجمهور.

7.العوامل المؤثرة على حارس البوابة الإعلامية:

1.7.قيم المجتمع وتقاليده:

يعد النظام الاجتماعي الذي تعمل في إطاره وسائل الإعلام من القوى الأساسية التي تؤثر على القائمين بالاتصال، فأي نظام اجتماعي ينطوي على قيم و مبادئ يسعى لإقرارها، ولكل مجتمع من المجتمعات نظامه السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي يسعى إلى تحقيق أهداف مترجمة في مجموعة من الإيديولوجيات والإجراءات التنفيذية التي تستهدف مواجهة كل تحديات المجتمع، والمؤسسات الإعلامية هنا وباعتبارها جزء من النظام الاجتماعي تجد نفسها تلقائيا في إطار هذه الإيديولوجية التي تفرض منطقا معينا في إنتاج وتحرير المواد الإعلامية المثارة عبر أجهزة الإعلام.

2.7.المعايير الذاتية للقائم بالاتصال:

تلعب الخصائص والسمات الشخصية للقائم بالاتصال دورا في ممارسة دور حارس البوابة الإعلامية مثل: النوع، العمر، الدخل، الطبقة الاجتماعية، التعليم، الانتماءات الفكرية والعقائدية، الخلفية الاجتماعية وكذا الكفاءة المهنية كلها تتداخل في عملية توجيه ونشر الأخبار.

3.7.المعايير المهنية للقائم بالاتصال:

يتعرض القائم بالاتصال (الصحفي) لعدة ضغوط مهنية تؤثر في أدائه لعمله تؤدي في النهاية إلى حتمية

توافقه مع سياسة المؤسسة الإعلامية التي ينتمي لها، والتوقعات التي تحدد دوره في نظامها الإعلامي، وتتضمن هذه المعايير المهنية ما يلي:

أ – سياسة المؤسسة الإعلامية:

تتمثل ضغوط المؤسسة الإعلامية في عوامل خارجية أي موقع الوسيلة في النظام الاجتماعي القائم ، كوجود مؤسسات إعلامية منافسة، وعوامل داخلية تشمل نمط الملكية وأساليب السيطرة والنظم الإدارية، كلها تلعب دورا في شكل المضمون الذي يقدم للجمهور، كما أنها تنتهي في نهاية المطاف بأن يصبح القائم بالاتصال أو الصحفي جزءا من الكيان العام للمؤسسة الإعلامية فيتم تطبيعه وفق قيم ومعايير واتجاهات المؤسسة ليصبح ميول القائم بالاتصال مع رؤسائه المباشرين.

ب – مصادر الأخبار:

أشارت أغلب الدراسات قوة تأثير المصادر الصحفية على القائم بالاتصال إلى حد احتوائه بالكامل، مؤكدة أن محاولة الصحفي الاستقلال عن مصادره عملية شاقة جدا خصوصا، وأن الأخير في قيامه بعملية تكوين مصادره الخاصة تطلب منه ذلك وقت وجهدا كبيرين، كما أن هذا التكوين تربطه اعتبارات كثيرة، منها توجهات هذه المصادر ومواقفها الفكرية والإيديولوجية المتوافقة مع سياسة الجريدة التي يعمل بها، إضافة إلى مراكزها الوظيفية وإمكانيات الوصول إليها وإعطائها للمعلومات..الخ، ونتيجة ذلك ستظل المعلومات المنشورة موجهة وروتينية لخدمة أطراف بعينها.

ج – علاقات العمل:

يتفق الباحثون على أن علاقات العمل داخل المؤسسات الإعلامية لها بصمتها الخاصة على القائم بالاتصال، أين يرسم بعدا تفاعليا اجتماعيا داخل تنظيم المؤسسة يكون بمثابة جماعة أولية بالنسبة للقائم بالاتصال، وبالتالي نجدهم متوحدين مع بعضهم داخل المجموعة، ويتعاملون مع العالم الخارجي من منطلقات ذاتية داخل الجماعة، وهو ما يجعل الصحفي معتمدا كثيرا على هذه الجماعة ودفعها المعنوي له إثناء أدائه لعمله.

د – معيار الجمهور:

جانب كبير من سياسة تحرير الصحف والوسائل الإعلامية الأخرى يتحدد على ضوء ما يتصوره أنه يمثل احتياجات الجمهور وأفراد المجتمع، باعتبار أن القارئ هنا هو مستهلك الصحيفة أو المعنى بالتأثير.

وقد لاحظ الباحثان "اثيل ديسولا بول" وشولمان أن الجمهور يؤثر على القائم بالاتصال مثلما يؤثر القائم بالاتصال على الجمهور، فالرسائل التي يقدمها القائم بالاتصال تحدد وفق توقعات ردود فعل الجمهور واحتياجاته، والتعرف على تلك الاحتياجات يتم بوسائل عدة من بينها المسوح الميدانية، وتحليل بريد رسائل القراء، والمهم هنا أن الاهتمامات تؤخذ في اعتبار بصورة أو بأخرى في تقييم المضامين المختلفة والطريقة التي تتم بها معالجة الأحداث